فوائد علمية
@FawaidAlQasim

شرح العقيدة الواسطية

لصاحب الفضيلة الشيخ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يقوم عليها مجموعة من طلاب الشيخ

قناة التيليجرام

فَوَائِد عِلْمِيَّة للاشتراك اضغط هنا

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّـهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]؛

قال رحمه الله: (**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّـهِ**) لما ذكر أن ٱعتقاد الفرقة الناجية: الإيمان بالله وملائكته وكتبه، ذكر بأن من الإيمان بالله ما سيذكره؛ فليس ما سيذكره هو جميع الإيمان بالله، لأنه هنا يتكلم عن بعض ما يجب الإيمان به، لأن الإيمان بالله يشمل: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. فهو يذكر صفات كثيرة في توحيد الأسماء والصفات، ولم يتعرض في هذه العقيدة لتوحيد الربوبية، أو الألوهية، وإن كانت تدخل في ضمن ذلك، لذا قال: (**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللَّـهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**) يعني: مما يجب الٱعتقاد الجازم به في القلب بالتصديق والإقرار والعمل: (**الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ**).

يذكر رحمه الله **هنا قاعدة في الأسماء والصفات**، وهي: **أن الأسماء والصفات توقيفية**، فلا يوصف الله عز وجل إلا بالنص، لأن الله عز وجل لم نره حتى نصفه بما رأينا؛ مثل الجنة: غيب، لا نعلم ما فيها إلا بما جاء به النص، قال ﷺ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[2] فإذا كان هذا المخلوق ـ وهي الجنة ـ لا نعلم صفتها إلا بالنص، فمن باب أولى الخالق سبحانه وتعالى؛ فقوله: (**الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ**) أي: أن كل ٱسم وصفة في كتاب الله نؤمن بها، إيماناً بمعناها، ونفوض كيفيتها لعدم علمنا بِكُنْهِ[3] ذلك.

---

(١) درس الخميس ١٤٣٩/٠٥/٢٩ هـ.

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٥)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) الكُنْهُ: جوهر الشيء وحقيقته، وكَنَهَ الأمر، أي: أدرك حقيقته (معجم الوسيط).

وعليه: إذا جاءت صفة من صفات الله في كتابه، أو في سنة النبي ﷺ، نؤمن بمعناها حقيقةً، مثل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [سورة الفتح: ١٠] نثبت معنى اليد ونقول: اليد معلومة، ولكن لا نعلم كيف هذه اليد.

ولا يجوز جحد معاني الصفات الواردة في النصوص، فلو قال شخص: كل ما في القرآن أنا أؤمن به، ولا تسألني عن معنى ذلك، مثل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر: ٢٢] لو قال شخص: إذا كان المعنى أن الله يجيء أنا أؤمن به، وإذا كان المعنى ما يجيء أنا أؤمن به، يعني: ما أجحد شيئاً من القرآن، ولا أثبت معنى تلك الصفة؛ نقول: هذا ـ والعياذ بالله ـ جحد للصفات، وتعطيل لمعاني القرآن، وتجهيل للنبي ﷺ؛ وجحد لصفات الله لأنه لم يثبت معناها.

لو قلنا له: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة القمر: ١٤] يقول:لا، لا، لا تسأل، إذا أراد الله كذا فهو كذا، وإلا فلا. نقول: لا، يجب أن نقول: إن لله عينين، والعينان معلومة؛ فإذا فوض ذلك فهذا مذهب التفويض أو المفوضة، وهو كفر ـ والعياذ بالله ـ، وهو أشد من التعطيل، ويصادم نصوص القرآن، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا﴾ [سورة النحل:٨٩] يعني: المعنى بَيِّن، ولكن هذا يجحدها. وأيضاً يترتب عليه أن النبي ﷺ يجهل معاني تلك الصفات؛ لذا نؤمن بكل صفة لله ﷻ جاء بها النص، بمعرفة معناها، والجهل بكيفيتها.

والمصنف ﵀ قال: (**الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**) ولم يذكر الاسم، ولكن ذكر الصفة، لأمرين:

الأمر الأول: لأن كل صفة يؤخذ منها اسم.

والأمر الثاني: لأن جحد أسماء الله ليس بالكثرة كجحد الصفات. فالمعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات. ولا ينفي أحدٌ الأسماءَ إلا الجهمية، ولظهور انحرافهم لم يقل المصنف أيضاً إثبات: الأسماء، لوضوحها؛ وإنما شدّت النزاع في الصفات، كنزول الله ﷻ إلى السماء الدنيا، والضحك، والغضب، والرضا، وغير ذلك.

(**بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ**) أي: القرآن العظيم، (**وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ**) وقد ذكر المصنف مما جاء في الأحاديث الصحاح، أي: **أن الأحاديث الضعيفة لا نأخذ منها إثبات صفات لله** ﷻ، وإنما الأحاديث الصحيحة.

ثم بيّن ﷺ **صفة هذا الإيمان بصفات الله** ـ الذي جاء به الكتاب والسنة ـ، فقال: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**) التحريف في اللغة: الميل، وفي الشرع ينقسم إلى قسمين:

تحريف للفظ: وهذا نادر جداً، لأن لفظ القرآن لو حُرِّف يظهر عيبه، وكذا التحريف في السنة.

والنوع الثاني: **تحريف المعنى**، فيقول: ٱستوى يعني ٱستولى؛ ويد الله ليست هي اليد المعلومة وإنما هي النعمة؛ وقوله ﷺ في الحديث القدسي: «وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1] فيحرف معنا الهرولة ـ وهي المعلومة عندنا ـ بأنها صب الثواب على العبد؛ وغير ذلك، فهذا تحريف في معاني صفات الله.

فأهل السنة لا يحرفون المعاني فضلاً عن الألفاظ.

والوصف الثاني في إيمانهم: (**وَلَا تَعْطِيلٍ**) المراد بالتعطيل يعني: جحد الصفات أو بعضاً من الصفات؛ جحد الصفات كالجهمية، ينفون جميع الصفات عن الله ﷻ ـ والعياذ بالله ـ؛ أو جزءاً منها كالأشاعرة، لا يثبتون سوى سبع صفات، والصفة السابعة وهي الكلام، تؤول إلى نفي الكلام عن الله حقيقة.

والوصف الثالث هو: (**وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ**) التكييف: أن يكيف العبد صفة من صفات الله على ما يريده؛ فمثلاً يقول: صفة اليد لله كصفة المخلوق الفلاني، وصفة العينين لله كالمخلوق الفلاني ـ والعياذ بالله ـ.

والدليل على تحريم التكييف الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١]، ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص: ٤]، فلا يجوز أن تُكَيَّفَ صفات الله بصفات شيء.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥)، والبخاري بلفظ: «وإن» (٦٩٧٠).

والوصف الرابع: (**وَلَا تَمْثِيلٍ**) والمراد بالتمثيل أن يقول: صفة الله مثل كذا؛ يعني يقول: صفة الله مثل يد فلان.

والفرق بينهما: أن التكييف: يخترع له صفة، يد الله طولها كذا عرضها كذا ـ تعالى الله عن ذلك ـ، والتمثيل: لا يخترع له صفة، ويقول: يد الله مثل يد الإنسان، وهكذا.

والله يقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٥]، ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص: ٤].

فلما بيّن بما نثبت صفات الله، يعني ما هو مصدر إثبات صفات الله: الكتاب، والسنة، وكيف يكون الإيمان بها، ذكر بعد ذلك: ما هو الذي يجمع ذلك الإيمان مع ٱجتناب الأوصاف المحذورة، فقال: (**بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ**: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**﴾) يعني: لا يثبتون التمثيل، ينفون عن الله التمثيل؛ وأيضاً يدخل فيها التعطيل، لأن الممثل لم يُمَثِّل إلا بعد أن عطل صفات الله؛ ومَن كَيَّفَ فهو جزء من التمثيل؛ ومن حَرَّفَ من أجل أن يُمَثِّلَ لعدم إثباته صفة من صفات الله.

وقوله: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ**) الكاف: للتأكيد، وهو أبلغ من حذف الكاف؛ فلو قال شخص: البخاري رحمه الله ليس مثله أحد في ٱنتقاء شرط الأسانيد؛ هل هذا اللفظ أبلغ، أم: البخاري ليس كمثله أحد في ٱنتقاء الأسانيد؟

وكذا تقول: زيد ليس مثل الطلاب ـ يعني مجتهد ـ، ولا تقول: زيد ليس كمثل الطلاب، فهو أعلى مرتبة؛ لذلك قال: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**) وهذا فيه رد على الممثلة، (**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾) رد على المعطلة؛ ففيه إثبات صفات الله عز وجل.

وهذه قاعدة عظيمة ٱستفتح بها شيخ الإسلام ليبين: ما هو المصدر لصفات الله عز وجل.

والله أعلم، وصلى الله وسلّم على نبينل محمد.